٤١

مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية

مركز مدرّس للتنمية والدراسات الإسلامية

محاضرة مكتوبة

سيرة المرجع السيد محمد سعيد الحكيم ومنهج طالب العلم

سماحة
السيد رياض الحكيم
-٢٠٢٤-

سيرة المرجع السيد محمد سعيد الحكيم ومنهج طالب العلم

تعريف البحث:

يقدم هذا التقرير الذي هو عبارة عن مقتطفات من حوار صوتي نظرة عامة على السيرة الذاتية والمنهجية العلمية للمرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم. يشارك في الحوار نجله سماحة السيد رياض الحكيم، الذي يروي تفاصيل عن كيفية قضاء المرجع وقته في مختلف مراحل حياته، بدءاً من مرحلة الدراسة التي تميزت بالجدية الكاملة والتفرغ للدرس والمطالعة والتأليف. كما يركز الحوار على إصرار المرجع على متابعة التدريس والكتابة حتى في أصعب الظروف داخل السجن، معتمداً على الذاكرة وقضاء وقته في العبادة وإرشاد السجناء. ويشدد السيد رياض على وصايا المرجع لطلبة العلم، والتي تركز على النظام واستثمار الوقت وتحمل المصاعب، بالإضافة إلى أهمية الجدية في الدراسة والبحث العميق في روايات أهل البيت، مؤكداً على وضوح رؤية المرجع في جميع مواقفه.

سيرة المرجع السيد محمد سعيد الحكيم ومنهج طالب العلم

السيد ياسر الشريف: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين. واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين. أصحاب السماحة والأساتذة الأكارم، السادة المشايخ الأجلاء، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أحييكم وأرحب بكم في هذا الحضور المبارك، الذكرى السنوية لمرجع الطائفة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم قدس الله نفسه الزكية. ويسعدني ويشرفني أن أكون مع سماحة السيد رياض الحكيم نجل المرجع الديني الكبير، لكي يكون هذا الحوار المبارك إن شاء الله.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا في هذه الدقائق معكم لكي نكون في حوار حول فقيه مدرسة أهل البيت، سماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم قدس الله نفسه الزكية. سماحة السيد، بداية حدثنا كيف كان يقضي مرجعنا الديني الكبير يومه المبارك.

السيد رياض الحكيم: بسم الله الرحمن الرحيم. بداية، مثل هذه البرامج تكتسب أهميتها باعتبار أن العالم والمبدع في كل مجال لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بجهد كبير. وهو يصلح درسًا للشباب والأجيال ليبذلوا جهودهم للارتقاء والإبداع.

طبعًا عندما نتحدث عن الوقت أو كيفية قضاء الوقت أو قضاء اليوم، هذا يختلف باختلاف المراحل التي مرت على سماحة السيد. ففي مرحلة الدراسة، التي تقريبا لم ندركها عن وعي وإنما كنا نسمعها منه، كان هو في غاية الجدية في الدرس. وكان يفرّغ وقته للدرس والمطالعة والمباحثة والتأليف، وآثاره تشهد على ذلك. فكان درسه عامرًا منذ بداية حياته، أي انتمائه للحوزة العلمية. نعم. حتى دروس المقدمات، وكذلك كتاباته للكتب التي درسها ودرّسها بمرحلة المقدمات، إلى الآن موجودة. بالإضافة إلى مطالعاته المكثفة. نحن أول ما نشأنا، كنا نلحظه مشغولًا انشغالًا شبه كامل بالدراسة. حتى أنا كنت أول ما نشأت أخرج

مع بعض الأعمام بالمناسبات. لأن السيد لم يكن لديه وقت للمشاركة في المناسبات الاجتماعية. فكنت أنا أخرج مع بعض الأعمام، وأحيانًا مع السيد الجد رحمه الله عليه. فهذه المرحلة كانت مرحلة بناء علمي، وبذل فيها جهودا مضنية من قبل سماحته فيما يرتبط بالبحث العلمي والمطالعة والدراسة والتدريس. أتذكر لما كنا صغار. أحيانًا كأطفال نستيقظ في أواخر الليل (هو كان قليل النوم)، فكثيرًا ما كنا نجده قبل الفجر أو نصف الليل أو بعد نصف الليل. ضياء المكتبة، غرفة المكتبة (كان عنده مكتبة صغيرة). كان موقدًا، وكنا نلاحظه أنه مشغول بالكتابة والمطالعة وغير ذلك. فهذه المرحلة كان جل وقته للمطالعة والبحث العلمي والتدريس طبعًا. ولكن في نفس الوقت كان مهتمًا بأن يحضر بعض نوادي النجف العلمية. النجف في تلك الفترة كان فيها نوادٍ علمية، خصوصًا ليالي العطل، من ليلة الخميس أو عصر الأربعاء إلى ليلة السبت، باستثناء ليلة الجمعة التي كنا لا نحضرها؛ لأننا كنا نتشرف بزيارة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء. سماحة السيد كان حريصًا أن يشارك في بعض هذه المجالس والنوادي العلمية. يحضرها العلماء والفضلاء وطلبة الحوزات العلمية بمختلف المستويات. يعني أنا أتذكر على سبيل المثال، أنا كنت في بداية دراستي للمقدمات، كنا نجلس في بيت السادة آل بحر العلوم. تصور الشيخ حسين الحلي موجود وأنا موجود في ذاك الوقت. وهذه المجالس هي فرصة لأن يستمع الإنسان إلى ما يطرحه العلماء والفضلاء، وما تدور بينهم من مناقشات علمية وثقافية. وكل ما عندنا من أسئلة، عندنا فرصة أن نسأل فيها، وبهذا نوجهها للفضلاء والأساتذة. مثلاً بيت السيد سعيد الحكيم الكبير. نعم. أيضًا كان لديهم مجلسان: مجلس أدبي عادة يحضره الأدباء والشعراء وتُطرح فيه مسألة أدبية، ومجلس علمي. فكان سماحة السيد رغم مشاغله ولكنه كان مهتمًا وحريصًا بأن يحضر هذه المجالس. طبعًا لا يستوعبها كلها، ولكن هو يوزع وقته في ليالي العطل على بعض هذه المجالس. وهو أيضًا كان يقول (طبعًا هو كان ملازمًا للشيخ الحلي رحمه الله عليه) ومرارًا كان يقول بأن استفادتي من مجالسة الشيخ حسين الحلي أكثر من استفادتي من درسه. من دون التقليل من شأن درسه؛ يعني ليس معنى ذلك أن

درسه ليس مفيدًا، لا، درسه مفيد مثل باقي الأعلام. ولكن هو كان حريصًا أن يلازم الشيخ حسين، فكان يذهب إليه في البيت ويجلس معه جلسات خاصة.

إذًا بالإضافة إلى اهتمامه البالغ بالدرس والتدريس والمطالعة والتأليف، كان حريصًا أيضًا أن يشارك في هذه المناسبات. طبعًا بالإضافة إلى بعض المناسبات الاجتماعية التي يعني كان يهتم بألا يقاطع المجتمع، مثل من باب صلة الرحم، من باب العلاقات الاجتماعية الموجودة، طبعًا بحدود ضيقة.

المرحلة الثانية التي تلتها، التي صار فيها سماحة السيد أستاذًا في الحوزة العلمية. طبعًا هذه المرحلة كانت مرحلة صعبة؛ لأنها كانت تحت سيطرة نظام البعث، فكانت هناك قيود أمنية. كما تعلمون، سماحة السيد على الرغم من أنه لم يكن لديه نشاط سياسي ومعارض صريح للسلطة، ولكنه كان ممنوعًا من السفر من سنة ١٩٦٩ إلى سنة ١٩٧٤. بعد مراجعات، سُمح له بأن يذهب للحج. بعد ذلك، عادوا قرار المنع من السفر إلى أن اعتقل. فهذه الفترة كانت فترة حرجة على الحوزة العلمية عمومًا، والنشاط الاجتماعي لطلاب الحوزة. طبعًا الأمر ازداد سوءًا إلى أن أحكم الطاغية السيطرة وصار هناك طوق. فكان يركز على تربية الطلاب. كان عندنا مجلس بمناسبة استشهاد الأئمة عليهم السلام. ولكن هذا المجلس كان يتحول إلى مجلس علمي. والمجلس الرسمي كان عصرًا، بعد ذلك يبقى طلاب الحوزة والفضلاء يبقون إلى وقت متأخر من الليل، وتُطرح المسائل العلمية والثقافية والتاريخية والأمور المختلفة. قبل أن يشتد الطوق الأمني من قبل السلطة، كان مثل هذه المجالس غير مستهدفة؛ لأن العنوان هو عنوان مجلس تعزية. مجلس التعزية كان مقبولًا سابقًا، ولم يكن مستهدفًا كثيرًا، ولكن محتواه كان هذا. طبعًا في فترة السجن، بعد ذلك الظرف اختلف. في السجن مررنا بظروف مختلفة. في فترة اعتقالنا بالأمن العام كانت الرقابة مشددة جدًا. لأنه لم يكن هناك غرف تفصلها جدران، وإنما تفصلها قضبان، والكاميرا مسلطة على كل نواحي السجن. فكانت الظروف صعبة جدًا في تلك الفترة، فكان الانشغال بشكل عام بالعبادة وقراءة القرآن وأمثال ذلك. في فترة من

الفترات، طلبنا من سماحة السيد أن يبدأ درسا. ولكن كما تعرفون، إقامة الدرس في تلك الظروف كان غير متيسر. أيام الطاغية، كل تثقيف ديني في السجن يعرض صاحبه للإعدام. فكيف ونحن كنا مستهدفين، وكانت الصورة غاضبة، وعنده حقد خاص تجاهنا. على كل حال، مع ذلك طلبنا من سماحة السيد أن يُلقي الدرس، فبدأ درس تفسير. طبعًا دون مصدر، فقط كان في قرآن نسخة قديمة جدًا بحيث أوراقه تتكسر. يبدو أنه سُرِّب إلى السجن قبل ما تسلط سلطة البعث؛ لأنه القرآن في السجن ممنوع. فكان بشكل خاص يتوزع بين بعض السجناء. كثير من السجناء كانوا يخافون أن يقرأوا القرآن، حتى لا تُسجل عليهم سِمة التدين.

يعني نفس هذا القرآن كان يتوزع ويتنقل، دعنا نقول، بين بعض السجناء. وكنا نقرأ به أحيانًا داخل القاطع الذي نسميه قاطعًا. كان في عمود، العمود ليس في وسط القاطع وإنما في آخر القاطع قريب من الجدار باتجاه القبلة. عادةً سماحة السيد كان يجلس بجانب هذا العمود ومتجهًا للقبلة، ويدعو، يصلي، يدعو، يقرأ قرآن. فاتفقنا أنه يكون الدرس بهذا الشكل: السيد يجلس وكأنه يدعو وهو يلقي المحاضرة. فبدأ درس التفسير، وأتذكر البداية كانت سورة الجمعة. أمضينا عدة أيام، طبعًا نحن موزّعون، ليس على شكل درس، نرى كم واحدًا نائمًا، وكم واحدًا جالسًا يتحدثون بينهم، كانوا يحدثون بهذه الطريقة. حتى يكون هناك (تغطية). فاستمر لفترة. يوم من الأيام صار اضطراب في السجن وإذا بضباط دخلوا وصار الوضع متأزمًا، ثم تم استدعاء السادة؛ بما أن شخصًا كاتب تقريرًا. يعني على كل حال، بعد اللتيا والتي، والله سبحانه وتعالى دفع شرهم، ما استطاعوا إثبات أن هناك درس، خصوصًا أن المعتقلين الآخرين، ما كانوا يشعرون بأنه في درس. بعد ما انتقلنا إلى السجون المغلقة في سجن الأحكام الخاصة، هناك كانت الفرصة أيسر. والسبب أنه كان مرض التدرن منتشرًا. وكان الجلادون كثيرًا ما يأتون للسجن وهم يلبسون كمامات، لأنهم يخافون من العدوى. مرض التدرن الرئوي معدٍ. مرض التدرن المنتشر (أغلب الإصابات كانت إما بالعظام أو بالرئتين). فهم كانوا يخشون أن يكثروا التواجد في السجن. بعض القضايا الروتينية يعتمدون بها على الخدمات الموجودة بالسجن. هذه صارت

فرصــة. فكان ســماحة الســيد بالإضــافة إلى الالتزامات العبادية اليومية المعهودة، بدأت دروس خاصة، طبعًا اعتمادًا على الذاكرة.

نحن كنا ســنة في الأمن العام وبعدين نقلونا. فســنتان يعني مفتقرين لا كتب ولا مراجعة ولا أي شيء. اعتمادًا على الذاكرة. طبعًا الذاكرة عند سماحة السيد قوية جدًا. فكان بين الإجابة على الأســئلة وبين الدرس الذي بدأ، بدأت دروس مختلفة هناك. هذه أيضًــا كانت تشـغل جزءًا من وقته. بعد عدة سـنوات، خف (الوضـع) قليلاً، فكان كثير من الأخوة السجناء يراجعون سماحة السيد بأسئلتهم الخاصة. وكثيرًا ما كانوا يستمعون إلى نصائحه وإلى توجيهاته. فكان وقته (مشغولًا).

في فترة من الفترات لما سُــمح لنا بمقابلة أهالينا، أي زيارتهم، اســتطاعت بعض العلويات أن يسرين لنا بعض الكتب، وكانت هذه نقلة. بعدما سمح الظرف، سُمح لسماحة السـيد أن يكتب كتبًا جادة. الكتب الأولى في المرحلة الأولى التي كتبها على أوراق السـجائر، تلفت تلك. لكن الكتب الأخرى التي في المرحلة الثانية لم تتلف، وهي موجودة. منها كتاب الكافي في الأصـول، هو جزء منه كتبه هنا، وكتاب في الفقه الاسـتدلالي. والتدريس كان شـبه منتظم.

السيد ياسر الشريف: سماحة السيد، اسمحوا لي أن أنتقل إلى محورٍ آخر، رغبةً في اســتثمار الوقت معكم. أنتم تتحدثون عن أمورٍ قد يصــعب على أمثالي إدراكها، كحديثكم عن سـماحة السـيد وهو في السـجن، ومع ذلك يؤلّف الكتب على أوراق السـجائر وما شـابه ذلك، ويواصــل مسـيرته في الدرس والتدريس والتأليف، رغم تلك الظروف القاسـية. ومن هنا، أودّ أن أنطلق إلى موضـوعٍ في غاية الأهمية، وهو موضـوع طالب العلوم الدينية. ما هي وصية سماحة السيد المرجع، قدّس الله نفسه الزكية، في تحديد مسار طالب العلم؟

أنتم تذكرون لنا صـورةً لسـماحة السـيد وهو في السـجن، ومع ذلك لم ينقطع عن العلم والتعليم، فكيف بنا اليوم، ونحن نعيش فسحةً أوسع من الإمكانات والظروف؟

لذلك، نودّ منكم أن تبيّنوا لنا أهم وصايا سماحة السيد المرجع بخصوص طلبة العلم، ولا سيما تلك الوصايا الخاصة التي ربما وُجّهت إليكم أو إلى بعض طلبة العلم ولم تُنقل إلى عامة الطلبة، لنقف على أبرز التوصيات والمعالم التي رسمها لمسيرة طالب العلوم الدينية.

السيد رياض الحكيم: سماحة السيد لديه توصيات كثيرة، بعضها مطبوعة، لكن بشكل مختصر ركز على عدة نقاط أساسية.

الامر الاول: النظام. السيد كان منظمًا، والآن عندما تلاحظون بعض مؤلفاته، تجده يكتب البحث مرتين. أول شيء يكتبه (لأن الإنسان لما يريد يكتب موضوع علمي دقيق ربما تتغير آراؤه). فيحذف ويضيف، بعدها يكتب المسودة التي نسميها. بعدين هذا الموضوع الذي يحسمه يكتبه مرة ثانية بخط جيد ومنظم وبشكل ملفت. هذا أولاً. ثانيًا: هو منظم وقته، وقته لا يذهب سدًى، وهذا شيء مهم. الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك. الإنسان إذا لم يكن لديه تخطيط، يصير هو الضحية، وقته يضيع ويتلف وعمره يضيع، لا يستفيد من عمره بالشكل المناسب. فسماحة السيد كان دقيقًا في استثمار الوقت. أولاً كان يخطط،

الأمر الثاني: دقيق في استثمار الوقت.

الأمر الثالث: تحمل المصاعب. تحمل طلب العُلا وسهر الليالي. في شدة الأزمة الأمنية، يوميًا كنا نجلس صباحًا ولا ندري من أُعدم، من اعتُقل، من سُفِّر، من سُلّم جثمانه، لا ندري شيئًا. هو كان حريصًا على مداومة الدرس والتدريس والمطالعة. الحياة مبنية على تحديات ومصاعب، فالإنسان لا يترك عمله ولا يترك التزاماته تأثرًا بهذه المؤثرات. كان جدًا مهتمًا بأن يطبق أو ينفذ التزاماته مع غض النظر عن الإشكاليات وعن التحديات، حتى بعد سقوط النظام، خصوصًا في السنوات الأولى عندما ابتلي البلد بتفجيرات الإرهابيين والمصاعب وغيرها. هو كان رغم تفاعله النفسي مع الأحداث

واهتمامه والمراجعات الكثيرة التي تكون معه، ولكن مع ذلك لا يؤثر على تدريسه ودرسه وكتابته. ومحافظته على أن لكل شيء وقت. هذا أيضًا من الأمور التي كان يؤكد عليها.

طبعًا بالإضافة إلى كل ذلك كان يؤكد على أن يكون الإنسان (خصوصًا طالب العلم)، أن يسعى لأداء وظيفته. كل إنسان موظف في هذه الحياة، أن يؤدي شيئًا. فلو سألنا: ما هي وظيفة طالب العلم وفق رؤية سماحة السيد المرجع؟ طبعًا طلاب العلوم كل واحد لديه ظرفه الخاص. الجدية في الدراسة، هذه نقطة مهمة كان يركز عليها منذ بدايات الدراسة. يقول: هذه الدراسة الأولية، دراسة المقدمات والسطوح، تمثل أساسًا لطالب العلم. كان يؤكد عليها باستمرار، وكذلك البحث والمراجعة. وليس الاهتمام بالأمور الجانبية العلمية. يقول: أنت فكر في الموضوع قبل أن تفكر ماذا يقول الآخرون. أنت عندما تتلقى المادة العلمية، تمعّن فيها، تدبر فيها، تأمل فيها. حتى كان يقول أحيانًا بعض مبانيه الفقهية جذورها عندما كنت أدرس الكفاية مثلًا أو المكاسب أو شيء، جذورها من تلك الفترة. فهو عندما يتلقى المادة لا يتلقاها للحفظ فقط، وإنما يناقشها، يبحثها مع أستاذه. لهذا يقول: "مجالستي مع الشيخ حسين أكثر فائدة من درسه". لأنه لما يتلقى المادة يدرس مع الشيخ حسين ويبحث، حتى إذا وقت الدرس لا يسمح، يذهب إلى البيت (ليبحث). فهذا الأمر الذي كان يؤكد عليه.

السيد ياسر الشريف: المحاور كثيرة في سيرة مرجعنا الديني الكبير آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم قدس الله نفسه الزكية. إذا تسمح لي أنتقل إلى بعض المواضيع المهمة، في قضية مرجعية سماحة السيد والأنشطة التي كان يقوم بها.

السيد رياض الحكيم: طبعًا سماحة السيد هو كان في بداية حياته العلمية يركز على البحث والدرس والتدريس. أصلاً لم يكن بصدد التصدي للمرجعية، وإنما يجد أن وظيفته أن يملأ هذا الجانب. ولكن بعدما أُطلق سراحه من السجن وصارت بعض الظروف، فكثير من الفضلاء راجعوا سماحة السيد وطلبوا أن يتصدى. وصار إلحاح، حتى من قبل بعض العلماء في لبنان أرسلوا لسماحة السيد رسالة وطلبوا منه التصدي؛ حتى يملأ جزءًا من

الفراغ الموجود. وكان سماحة السيد عندما تصدى هو قال لي مباشرة: "أنا ما تصديت لأزاحم أحدًا، وإنما لأملأ الفراغات". فهمّنا أن نملأ الفراغات، باعتبار أن الساحة عريضة جدًا، وشيعة أهل البيت منتشرون. وليس من السهل أن شخصًا واحدًا يملأ كل الفراغات. فنحاول أن تتكاتف الجهود والأيدي في سبيل ملء الفراغات. ولذلك نجد بأن سماحة السيد (بتوجهه وتوجه محيطه) كانوا منسجمين مع كل المرجعيات في العراق وخارج العراق. لم تكن هناك حساسية أو شيء من تنافس أو مشاكل، بالعكس، كان هناك مودة وتعاون وتواصل مع المراجع في حوزة النجف.

السيد ياسر الشريف: سماحة السيد، هناك مواقف لمرجعنا الكبير قدس الله نفسه الزكية في داخل السجن، دائمًا أراكم تركزون على هذا الجانب المهم. كأن عندكم ذكريات كبيرة وتتذكرون هذه الأمور، وتحبون أن يطلع عليها الآخر. حدثنا عن هذه الحقبة الزمنية، يعني مواقف سماحة السيد فيها.

السيد رياض الحكيم: طبعًا هذه كانت فترة طويلة، وكانت فترة معقدة؛ لأنه هو حقيقة، خصوصًا بالنسبة لنا، لم يكن مجرد سجن. السجن عادةً عندما يصدر بحق شخص حكم، نفترض حتى لو حكم جائر (٢٠ سنة أو محكوم مؤبد)، هو في قرارة نفسه يتوطّن على أن يقضي هذه الفترة. أما بالنسبة لنا بالذات، فنحن كنا مهيئين للإعدام في أي لحظة. وكانوا كثيرًا ما يجرون مقدمات. لما يأخذون شخصًا للإعدام، نحن صار عندنا خبرة (يعرفون) كيف يفعلون بعض الإجراءات. فكانوا كثيرًا ما خلال هذه الفترة ينفذون هذه الإجراءات بحقنا تهيؤًا لتنفيذ الأمر الذي قد يصدر. لأن الطاغية (ملفاتنا كان يشرف عليها الطاغية مباشرة). حتى نحن لما كنا معتقلين بالأمن العام، الأمن العام يسمونا ضيوفًا، يقولون: "نحن لا نقدر أن نتصرف بشأنكم، أنتم مرتبطون بالقيادة (العليا)". فأوامر كانت تأتي مباشرة من الطاغية، والأوامر التي تصدر من الطاغية تُنفّذ فورًا. الشهداء الذين تم سحبهم وإعدامهم تم تنفيذ الأمر فوريًا في نفس اليوم. فهم الأجهزة الأمنية تريد دائمًا أن

تكون جاهزة، حتى لما يأتيها أمر بالتنفيذ (وهم لا يدرون الطاغية ماذا يقرر)، فعندما يأتيهم الأمر يريدون أن ينفذوه بدون أية إشكالية حتى لا يُعاقَبوا.

لاحظ. فكل فترة كانوا يهيئون للإعدام. وضعنا كان بهذا الشكل، يعني ليس أننا نعرف أنفسنا بأننا سنقضي عشر سنوات، أو عشرين سنة في السجن. مع ذلك، سماحة السيد كان حريصًا أن يستثمر الوقت الموجود. يقول: "اليوم أنا حي، عليّ أن أؤدي وظيفتي". غدًا ماذا يحدث؟ هذا بيد الله. والشيء الآخر الذي كان يعني سماحة السيد يعبّر به لنا طبعًا، خصوصًا لما نُقلنا إلى السجون المغلقة، نعم، هناك آلاف الشباب كانوا ضحية ظلم الطاغية. فطبعًا الإنسان في ذاك الظرف العصيب يشعر بالألم والحزن، وأحيانًا تصير عنده حالة (لا أقول حالة يأس). كل هؤلاء الشباب يواجهون هذه الظروف الضاغطة، لا يعرفون شيئًا عن أهاليهم، وأهاليهم لا يعرفون شيئًا عنهم. فلما نحن دخلنا إلى السجن، دخولنا كان مخففًا لمصيبتهم. لا يوجد أحد مصاب بحجم مصابنا. هذا الأمر كان سماحة السيد يؤكد عليه. حتى كان يقول مرارًا: "لو لم يكن من مصلحة في محنتنا إلا التخفيف عن هؤلاء، لكفى به". فكان حريصًا على أن يواسي السجناء ويخفف عنهم. كان بعض السجناء يأتون لسماحة السيد ويحكون له عن معاناة بعض السجناء الآخرين، فكان سماحة السيد حريصًا على أنه يتواصل مع أولئك، طبعًا بالواسطة؛ لأنه لم يكن هناك تماس مباشر. يرسل له سلامًا، يرسل له توجيهًا، يتابعه. فالسجين الشاب الذي يشعر بالغربة، لما يجد رجلًا عالمًا يتابعه ومهتمًا به وحريصًا عليه، هذا يخفف عنهم كثيرًا. بعد ذلك لما سُمح لنا بمقابلة العوائل، هذا أيضًا صار سببًا لنقدم خدمات للسجناء بالمقدار الممكن. فكان الطبيب الدكتور سعد رحمه الله عليه كان يأتي إلى سماحة السيد يعطينا قوائم بالأدوية التي يحتاجها السجناء، وكنا نحضرها طبعًا بطريقة صعبة (كل هذا ممنوع، هذا ممنوع، هذا ممنوع). سماحة السيد وباقي السادة أيضًا حريصون على مواساة السجناء ومراعاتهم وتقديم الخدمات لهم. هذا جانب مهم كان في حياة سماحة السيد. على كل حال، هو كان يؤكد على نقطة هي تقريبًا مجمل حياته: أن الإنسان يؤدي ما عليه، لا يفكر بالظرف، الظرف يسمح أم لا يسمح. الظرف العام جيد أو غير جيد، مسؤوليتك أن تؤدي ما عليك.

حتى لو خدمت شخصًا واحدًا، أنت بالتالي أديت وظيفتك. فكان يقول بأن هذه الثقافة إذا انتشرت بيننا، هو هذا سيسد قسمًا كبيرًا من الفراغ. إذا كل شخص يؤدي وظيفته، حتى لو الكيان العام، حتى لو الجهات الرسمية، حتى لو الجهات التي لديها إمكانات لا تؤدي وظيفتها بالشكل المناسب. ولكن بالتالي الأفراد لما تجتمع وتتكاتف جهودهم سيملأون جزءًا كبيرًا من الفراغ. فنحن بدل أن ننشغل بنقد الآخرين، فلنهتم بأداء وظيفتنا. هذا ما كان يؤكد عليه سماحة السيد في السجن وخارج السجن.

السيد ياسر الشريف: هناك أمر مهم آخر أحب أن أسمعه منكم أيضًا جزاكم الله خيرًا، وهو وضوح الرؤية لدى سماحة السيد المرجع، يعني على بصيرة من أمره. نحن الآن في هذا الزمن الذي تكثر فيه الشبهات (في وسائل التواصل الاجتماعي)، والشباب في قضية ضياع هوية وما شابه. كان هناك وضوح رؤية لدى سماحة السيد المرجع. يعني الآن تحدثتم في السجن عنده وضوح رؤية وبصيرة، قبل السجن وضوح رؤية وبصيرة، وعند تصديه للمرجعية. كيف نرى هذا؟

السيد رياض الحكيم: مثلًا الظروف الصعبة التي مررنا بها، وكنا في معرض الإبادة الجماعية. طبعًا عندما جاءتنا (المحن) جاءت في فترات كنا مهيئين للإبادة الجماعية. سماحة السيد في تلك الظروف كان يقول: "أنا أراجع نفسي ومواقفي، ليس لدي موقف أنا نادم عليه". لأنه في كل خطوة أنا عندما خطوت، أشعر بأنني على بصيرة من أمري، فعندي الحجة الكافية يوم القيامة لما أُسأل عنها. هذه مسألة مهمة: الإنسان دائمًا يتوخى أن يكون عمله طبق الضوابط الشرعية. أنت لما تعمل طبق الضوابط الشرعية، بعد ذلك لا تندم، حتى لو أخطأت، فبالتالي الإنسان معرض للخطأ والصواب. ولكن أنت إذا أديت ما عليك، وعملت بالضوابط الشرعية، وكنت مخلصًا وحريصًا على تنفيذ هذه الضوابط، وبالتالي بعد ذلك لن تندم على شيء. في أحلك الظروف التي مررنا فيها، كان هو كل فترة يجمعنا ويوجهنا، يدعونا إلى الصبر والتحمل، يذكرنا بمواقف أهل البيت وأصحابهم. ويقول: "أنا الآن أتحدث معكم، لا أدري من هنا إلى الغد هل سأكون معكم أو لست معكم". بالمناسبة،

في إحدى هذه المرات، بعد قمع الانتفاضة الشعبانية، النظام قسى أكثر، والجلادون قسوا على السجناء، وتم إعدام مجموعة من إخواننا السجناء. هناك فتحوا تحقيقًا جديدًا معنا ومع باقي السجناء. فسماحة السيد جمعنا وأيضًا وجه هذا التوجيه، نصحنا بأننا الآن مقبلون على أمر عظيم، لا ندري من يسلم ومن لا يسلم، هل هناك من يسلم؟ ليس هناك من يسلم؟ نلتقي بعد هذا اللقاء أو لا نلتقي؟ فكان ينصحنا في ظرف عصيب جدًا. وبالليل، في آخر الليل، سبحان الله، مجرد أن انتهى من كلامه، فُتحت الباب وسحبوا عددًا من السادة للتحقيق. مررنا بظرف عصيب أيضًا. فهذا كان ديدنه أن يكون الإنسان على بصيرة من أمره. وبعدين قد يكون رخاء، قد تكون شدة، مثل ما الأنبياء والأولياء والأئمة مروا بشدة. يعني حتى في أحلك الظروف أنت لازم تكون على بصيرة.

السيد ياسر الشريف: هناك أيضًا مواضيع مهمة في جوانب سيرة سماحة السيد المرجع قدس الله نفسه الزكية، موقفه تجاه مجالس أهل البيت. ولنسلط الضوء أكثر على قضية الاهتمام بروايات أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام. لنركز على جانب الروايات وجانب المجالس.

السيد رياض الحكيم: أما بالنسبة للمجالس الحسينية وأمثالها من المناسبات الدينية، سماحة السيد كان لديه مبنى كان يكرره باستمرار: أن مدرسة أهل البيت تعتمد على أساسين. الأساس الأول: الحوزة العلمية على أرض الواقع. الحوزة العلمية باعتبارها أنها تنظّر لهذه الثقافة. والإنسان إذا كان على بصيرة من أمره فيستطيع أن يواجه التحديات. ولذلك نحن نجد شيعة أهل البيت على مر العصور رغم الفتن، رغم الضغوط، رغم التضحيات، رغم حملات الإبادة الجماعية، مع ذلك تمسكوا بما يعتقدون به. بخلاف بعض الجماعات الأخرى التي ضاعت وتأخرت مع أن جذورها كانت سليمة. فالحوزة العلمية تؤدي هذا الدور. ومناسبات أهل البيت (في مقدمتها القضية الحسينية) تؤدي دور التعبئة. بالتالي الجمهور يحتاج إلى ما يُعبّئه. فهذه التعبئة تتكفل بها هذه المراسيم وهذه الشعائر، وتنمي وتوفر فرصة لتغذية الجماهير بهذه الثقافة. هذا فيما يتعلق بالجانب الأول. الجانب الثاني: سماحة السيد كان حريصًا على أمرين.

الأمر الأول: ما يرتبط بالقرآن الكريم؛ كان كثير التلاوة للقرآن. يعني حتى عندما أحيانًا يصير عنده فراغ لدقائق، هو كان يأتي بالقرآن ويقرأ. ولذلك الإنسان عندما يلاحظ كلامه ومقاطع من أحاديثه، تجده كثير الاستشهاد بالآيات القرآنية.

الأمر الثاني: فيما يرتبط بروايات أهل البيت. يقول بأن هذه الروايات تحمل محتوى. هذا المحتوى غزير، يعني لا يُغطى بمراجعة يوم ويومين وسنة وسنتين. فالإنسان كلما تعمق وصرف وقت في هذا التراث، سوف يتبصر أكثر. ولذلك كان يؤكد على أن الإنسان يطالع هذه الروايات، لا يقرأ الرواية والروايتين فقط ليريد محل الشاهد ويكتفي. لأن هذه تُؤَسس لثقافة رصينة وغزيرة للإنسان، يعني للباحث. هذا ما كان يؤكد عليه، وهو كثير المطالعة.

لذلك بعض الشباب من الطلبة أحيانًا لما أتحدث معكم عن بعض الأمور يقولون: "ليس عندنا وقت". أنا لما عشت مع سماحة السيد، لا أعتقد أن هناك شخصًا من حقه أن يقول: "ليس عندنا وقت". لأن السيد بالوقت الذي كان جادًا في دراسته وتدريسه وتأليفه الغزير ومطالعاته ومراجعاته للقرآن الكريم وللمصادر الأخرى، واستقباله للناس يوميًا. واهتمامه بالشأن العام، رغم كبر سنه وأمراضه. بعد ذلك، كيف لواحد أن يقول: "ليس عندي وقت"؟ لا يوجد شيء بعد ذلك. فإذًا هناك وقت، ولكنه يحتاج إلى تنظيم. هذه مسألة مهمة: أن الإنسان ينظم وقته، سوف يجد أن هناك كثيرًا من الوقت والفرص.

السيد ياسر الشريف: كل الشكر والتقدير والثناء الجميل لكم سماحة السيد رياض الحكيم، وجزاكم الله خير جزاء. أشكركم على قبولكم الدعوة ووجودكم هنا مع الأحبة.

السيد رياض الحكيم: حقيقة لي الشرف ولله الحمد والمنة أن وفقني الله سبحانه وتعالى أن أكون بمحضركم وبمحضر الأخوة. وتطرقنا في هذه الدقائق إلى جوانب من سيرة سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم قدس الله نفسه الزكية.